

(فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (٨٨) قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (٨٩) قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (٩٠) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ (٩١) قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٩٢)) .

[يوسف : ٨٨ - ٩٢] .

(فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ) قال إخوة يوسف له بأدب واستعطاف، بعد أن دخلوا عليه للمرة الثالثة «يا أيها العزيز» أي: الملك صاحب الجاه والسلطان والسعة في الرزق، «مسنا وأهلنا الضر» أي: أصابنا وأصاب أهلنا معنا الفقر والجذب والهزل من شدة الجوع.

• قال الشوكاني: قوله تعالى (فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ) أي: على يوسف، وفي الكلام حذف، والتقدير: فذهبوا كما أمرهم أبوهم إلى مصر ليتحسسوا من يوسف وأخيه، فلما دخلوا على يوسف .
(وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ) أي: وجئنا معنا من بلادنا ببضاعة قليلة رديئة يردها وينصرف عنها كل من يراها من التجار، إهمالاً لها، واحتقاراً لشأنها.

• قال الشوكاني: والمعنى: أنها بضاعة تدفع ولا يقبلها التجار . قال ثعلب: البضاعة المزجاة الناقصة غير التامة . قال أبو عبيدة: إنما قيل للدراهم الرديئة: مزجاة لأنها مردودة مدفوعة غير مقبولة، والبضاعة هي القطعة من المال يقصد بها شراء شيء .

واختلف في هذه البضاعة ما هي؟ فقيل: كانت قديداً وحيساً، وقيل: صوف وسمن، وقيل: الحبة الخضراء والصنوبر، وقيل: دراهم رديئة، وقيل: النعال والأدم .

(فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ) أي: أعطنا بهذا الثمن القليل ما كنت تعطينا قبل ذلك .

(وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا) إما بزيادة يزيدنا لهم على ما يقابل بضاعتهم، أو بالإغماض عن رداءة البضاعة التي جاءوا بها، وأن يجعلها كالبضاعة الجيدة في إيفاء الكيل لهم بها، وبهذا قال أكثر المفسرين .

قال بعض العلماء: تصدق علينا برد أحياناً بنيامين .

وضعف هذا القول ابن جرير فقال: ... وَإِنْ كَانَ قَوْلًا لَهُ وَجْهٌ، فَلَيْسَ بِالْقَوْلِ الْمُخْتَارِ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ: (وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا) لِأَنَّ الصَّدَقَةَ فِي الْمُتَعَارَفِ: إِتْمَانٌ هِيَ إِعْطَاءُ الرَّجُلِ ذَا الْحَاجَةِ بَعْضَ أَمْلَاكِهِ اتِّبَعَاءَ ثَوَابِ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةً، فَتَوْجِيهٌ تَأْوِيلِ كَلَامِ اللَّهِ إِلَى الْأَغْلَبِ مِنْ مَعْنَاهُ فِي كَلَامٍ مَنْ نَزَلَ الْقُرْآنُ بِلِسَانِهِ أَوْلَى وَأُخْرَى.

(إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ) ما يجعله لهم من الثواب الأخرى، أو التوسيع عليهم في الدنيا .

(قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ) أي: هل تذكرون ما فعلتكم بيوسف وأخيه، إذ فرقتهم بينهما وصنعتن ما صنعتن إذ أنتم جاهلون، يعني في حال جهلكم بعاقبة ما فعلتكم بيوسف، وما إليه صائر أمره وأمركم؟
وقيل: نفى عنهم العلم وأثبت لهم الجهل، لأنهم لم يعملوا بمقتضى علمهم.

والأول أولى وأقرب إلى ما يدل عليه سياق الآيات بعد ذلك، من عفوه عنهم، وطلب المغفرة لهم.

(قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ) أي: إنك لأنك أخونا يوسف الذي أكرمنا ... والذي فارقتاه وهو صغير فأصبح الآن عزيز مصر، والمتصرف في شعونها؟ ..

(قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا) أي : قال أنا يوسفُ الذي تتحدثون عنه . والذي فعلتم معه ما فعلتم (وهذا أخي) بنيامين الذي ألهمني الله الفعل الذي عن طريقه احتجزته عندي، ولم أرسله معكم (قد منَّ الله علينا) حيث جمعنا بعد فراق طويل، وبدل أحوالنا من عسر إلى يسر ومن ضيق إلى فرج .

(إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) أي : إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ فَيُرَاقِبُهُ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ وَاجْتِنَابِ مَعَاصِيهِ وَيَصْبِرْ ، يَقُولُ : وَيَكْفُفُ نَفْسَهُ ، فَيَحْسِبُهَا عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ عِنْدَ مُصِيبَةٍ نَزَلَتْ بِهِ مِنَ اللَّهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُبْطِلُ ثَوَابَ إِحْسَانِهِ وَجَزَاءَ طَاعَتِهِ إِلَّا بِمَا أَمَرَهُ وَنَهَاهُ .

قال تعالى (وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) .

وقال تعالى (بَلَى إِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ) .

وقال تعالى (لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) .

• قال ابن تيمية: فذكر الصبر والتقوى في هذه المواضع الأربعة، فالصبر يدخل فيه الصبر على المقدور، والتقوى يدخل فيها فعل المأمور وترك المحذور.

• قال ابن عاشور : وجملة (إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرُ) تعليل لجملة (مَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا) . فيوسف عليه السلام اتقى الله وصبر وبينيامين صبر ولم يعص الله فكان تقياً . أراد يوسف عليه السلام تعليمهم وسائل التعرض إلى نعم الله تعالى، وحثهم على التقوى والتخلق بالصبر تعريضاً بأنهم لم يتقوا الله فيه وفي أخيه ولم يصبروا على إيثار أبيهما عليهم.

وهذا من أفانين الخطابة أن يغتنم الواعظ الفرصة لإلقاء الموعدة، وهي فرصة تأثر السامع وانفعاله وظهور شواهد صدق الواعظ في موعظته.

(قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ) أي : نقسم بالله تعالى لقد اختارك الله تعالى لرسالته، وفضلك علينا بالتقوى وبالصبر وبكل الصفات الكريمة.

(قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ) أي : قال يوسف لإخوته على سبيل الصفح والعتو يا إخوتي: لا لوم ولا تأنيب ولا تعبير عليكم اليوم، فقد عفوت عما صدر منكم في حقي وفي حق أخي من أخطاء وآثام .

(يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ) يغفر الزلات ، ويمحو الخطيئات .

(وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) بعباده ، فيجازي محسنهم ويغفر لمسيئهم .

الفوائد :

١- جواز الإخبار بالبلاء من غير تسخط .

٢- فضل الصدقة والمتصدقين .

٣- فضيلة الإحسان والحسنين .

٤- أن الصدقة لم تكن محرمة على الأنبياء .

٥- ابتلاء الأنبياء بالشدة والرخاء .

٦- أن المعاصي لا تكون إلا نتيجة الجهل بالله تعالى .

٧- بيان فضل التقوى والصبر .

٨- نتيجة الصبر حميدة .

- ٩-الجزء يكون في الدنيا والآخرة .
- ١٠-تعرف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة .
- ١١-الزيادة على السؤال عند الحاجة والبيان .
- ١٢- الاعتراف بالخطأ .
- ١٣- العفو عند المقدرة .
- ١٤-التوبة تجب ما قبلها .